تقنيات السرد في
الرواية العراقية الإيرانية
Narrative Techniques in the Iraqi-Iranian Novel:

(دراسة مقارنة)

(A Comparative Study)

ا.م.د. ثائر فضل عيسى

Asst.Prof.Dr. Thaer.fadhel. Essa

جامعة سومر/ كلية التربية الأساسية

University of Sumer \
Collage of Basic Education

Thaer8008@gmail.com

الملخص

يتلخص البحث الموسوم (تقنيات السرد في الرواية العراقية الإيرانية، دراسة مقارنة) على جانبين:

الجانب الأول: يتناول فيه الباحث الرواية الحديثة وتقنياتها البارزة في إيران والعراق باختياره لروايتين لكاتبين فقط، تجمعهما كثير من الخصائص والظروف. ولكي يكون حقل البحث محدد الجوانب ومحكم الإبعاد حصر الباحث دراسته ضمن مؤلفين هما الأبرز في الأدب السردي الحديث في هذين البلدين. وقد طبق الباحث في دراسته الدراسة المذكورة، النهج المقارن وفق ما جاءت به المدرسة الأمريكية التي لاتشترط التأثير والتأثر أو البعد التاريخي بين الآثار الأدبية المراد البحث فيها. لقد كرس الباحث جهده في هذه الدراسة عن أوجه التشابه والاختلاف والمضمون السردي وجماليات النص والأسلوب والعبارة والصور الفنية الأخرى.

الجانب الثاني: هو البحث عن ابرز التقنيات السردية وأساليب السرد الحديث التي استخدمت في الروايتين. فتناولنا كل واحدة منها بشكل منفصل ومستقل، وعززنا ذلك بالاقتباس النصي وذكر الشواهد من الروايتين الموسومتين: (النخلة والجيران) للكاتب العراقي غائب طعمة فرمان و(همسايه ها) وترجمتها (الجيران) للكاتب الايراني احمد محمود.

الكلمات المفتاحية: الأدب المقارن، تقنيات السرد، الرواية، غائب طعمه فرمان، احمد محمود.

Abstract

The research entitled (Narrative Techniques in the Iraqi-Iranian Novel, A Comparative Study) is summarized in two aspects. The first aspect: The researcher deals with the modern novel and its prominent techniques in Iran and Iraq.The researcher chose only two writers, in order for the research topic to be specific and well-rounded. In his study, the researcher also applies the comparative method according to the American school, which does not stipulate influence, influence, or the historical dimension between literary works.The researcher puts his effort into searching for similarities and differences between the two writers.The researcher notes the narrative content, aesthetics of the text, style, phrase, and other artistic images.

The second aspect: It follows the similarity between the two novels in terms of the writers' use of narrative techniques and modern narration methods.The researcher dealt with each technique separately, reinforcing this with the evidence he based on from the narrative texts in the two novels (AL-Nkhala w aljeran) by the Iraqi writer Ghaib Toma Farman and (Hamsayeh Ha) by the Iranian writer Ahmed Mahmoud.

Keywords: comparative literature, narrative techniques, the novel, Ghaeb Tohme Farman, Ahmed Mahmoud.

المقدمة

تناول الباحث في مستهل دراسته، نبذة وتوضيح كافي عن السرد ومفهومه ومدلولاته بالاعتماد على أهم المصادر المعتمدة في مجال الرواية والبحث فيها. ومن ثم تم توضيح معنى التقنية السردية ومفهومها وعناصرها. اختار الباحث في هذه الدراسة تقنيات السرد الروائي بين الروايتين العراقية والإيرانية، بالاعتماد على روايتي (النخلة والجيران) للكاتب العراقي غائب طعمة فرمان و(همسايه ها) للكاتب الإيراني أحمد محمود.

تركزت أهم محاور السرد على تقنية الاسترجاع والاستباق والحذف والوصف والتلخيص وغيرها من التقنيات، فضلا عن تعريف بدور الشخصية الروائية او شخصية السارد وتعدد الرواة.

وقد اعتمدت الدراسة على هذه التقنيات لبيان أساليب السرد والإلمام بمجريات الأحداث وتفاصيلها، مع الاهتمام بلغة السرد وبيان دورها في نقل صور الواقع المحكي وتجلياته الواضحة. واتضح في نهاية الدراسة أن الصور الروائية والسردية في الأثرين المذكورين، عبارة عن وقائع وأحداث متشابهة ومتقاربة. وهي مادة ثرة وغنية مستمدة من الواقع الفعلي للمجتمعين تتشابه فيها اغلب الجوانب والنواحي، فينتج عن ذلك التشابه مادة وافية لأجراء دراسة مقارنة تستوفي شروط البحث المقارن.

مفهوم السرد وتقنياته

للسرد مفاهيم متعددة،منها التتابع في الحديث والكلام،او القص أحيانا ويعني "سرد الحديث ونحوه يسرده سرداً، اذا تابعه". (لسان العرب: ابن منظور مج ٣ ص٢١١).

والسرد في الأدبيعني "نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية" (عز الدين اسماعيل/ الأدب وفنونه ص ١٨٧).

فالسرد هو منهجية خاصة وإبداع فني يستخدمه الكاتب، لتقديم عمل روائي فيها من الإثارةوالإفادة الكثير. والكاتب المبدع، نيق في نقله للأحداث،فيقوم بإعادة صياغة الواقع الملموسإلى واقع متخيل فيه من العناصر الروائية قدرة الإبداع ومهارة الكتابة، عالم يدخل فيه عناصر التأثير وبث روح التفكير في مجريات الإحداث وإيضاح المبهمات وإضاءة الجوانب المعتمة والمظلمة في النص الروائي.

وتقنيات السرد هي: "وسائل يلجأ إليها المبدع لخلق الشكل الفني الذي يريده حيث تكون قيمته متأتية من كيفية توضيفها في خطاب المبدع، حاملة وعي الراوي، والشخصيات ورؤيتها" (عبد الرحمن منيف: السيرة الذاتية ص ١١).

فالسرد هو الطريقة التي يقدم فيها الراوي الأحداث والوقائع وينقلهاإلى المتلقي عليصورةرواية اوقصة او مسرحية وغيرها.للسرد عدة تقنيات وهو ما يطلق عليه (التقنيات السردية او تقنيات السرد).وهو مصطلح ظهر مع ظهورالتكنولوجيا الحديثة وتقنياتها المتعددة، لكنه مرتبط بالزمن الحكائي في الرواية او القصة. يتجسد دور تلك التقنيات،بتسريع الأحداثأوإبطائها.

تستخدم تقنيات السرد في الرواية بصورة كبيرة يفوق استخدامها مع بقية الأنواع الأدبية الأخرى، وذلك لسعة صفحاتها وحرية النقل وعدم التقييد بشروط الكتابة النثرية. ويستخدمها الكاتب من اجل إضفاء جمالية للنص اوإيصالفكرة ما او تحقيق هدف معين. فنجد في النص الروائي عدة تقنيات في آن واحد، منسجمة مع السياق النثري والنص السردي.

تقنيات السرد الروائي في روايتي النخلة والجيران و همسايه ها (الجيران)

يعتمد السرد الروائي على مجموعة من الأدوات التي نطلق عليها التقنيات السردية، التي يستخدم فيها الكاتب أدوته، في تدوين القصة أو الرواية ورسم صورتها الواقعية في أذهان الجمهور. فنجد في روايتي النخلة والجيران للكاتب العراقي غائب طعمة فرمان، ورواية همسايه ها للكاتب الإيراني احمد محمد، أن الكاتبين قد استخدما تلك التقنيات بمواضع عدة في أثريهما ونذكر ذلك بالتفصيل مع الإشارةإلى الشواهد الروائية منهما:

١) تقنية الاسترجاع:

الاسترجاع هو أن يعود الراوي إلى الوقائع والإحداث الماضية فيرويها وينقلها في لحظة لاحقة لزمن حدوثها. (سيزا احمد قاسم: بناء الرواية ص ٤٠). وتعتمد هذه التقنية على الذاكرة التي يستمد منها الكاتب تلك الأحداث الماضية ويستشهد فيها في الوقت الحاضر او يربطها به.

ففي الرواية العرقية الإيرانية نجد أسلوب الاسترجاع، شائعا فيأغلب الروايات، التيتجعلمن الماضي واقع يحضر في أذهان الجمهور، ويتسربل في دهاليز حياته اليومية. ولا يمكن أن يعيش بمعزل عن الحاضر كونه الواقع والحقيقة الملموسة التي يدونها التاريخ لاحقاً.لذا نجد في الروايتين أن الكاتبين مدار البحث،يعتمدان في أثريهما على الذاكرة،فينقلانالواقع، ويرسماه بصورة متخيلة، فتتجلى لديهما هذه التقنية بصورة مختلفة.

لقد عاش غائب طعمة فرمانريعان ربيعهالأدبي في ديار الغربة،وتجشم عناءها، وذرف الدموع حنينا للوطن البعيد مادياً والقريبمن وجدانه وذاكرته المكتنزة بالأحداث. وقد ألف روايته النخلة والجيران،وحيداً، لا زوجة تشد من أزره ولا ولد يربت فوق كتفه، يخفف عنه ما خافه الهجير. فلا بد لروحه، من العودة للوطن الذي لم تفارقه، وبقيت دائمة الحضورفي مخيلته الجامحة، ليسرد لنا، وقائع فترة عصيبة من تاريخ

العراق في أماكن متعددة، من مدينة بغداد وأزقتهاوشوارعها التي غطتهااترابة الحروب والمرض والفقر والحرمان...بذاكرته الجمة، لم يقف واجما، بل سطر أحداثالمجتمع البغدادي الملأ بالوعي الزمني.

فكان الحضور المكاني لنخيل العراق مهشم الجذع،والأزقة بغدادية المليئة بالمخلوقات الجديرة بالرثاء والمحلات،والجسور التي ساد عليها جنود الانجليز، في مخيلته ولم تفارق لياليه الباردة.فالشخصيات في الرواية كانت غارقة في المشقة والتعب، تنشد الليل صبراً كي تريح الجسد النحيف، عسى أن تجد الأمل في يوم مشرق في دهاليز المكر والخداع."**كانت عيناها تشهدان قدوم المساء المبشر بمجي مصطفى، واذناها تسمهان حسين يغني في حجرته عناء كريها يشعرها بالاختناق"** الرواية ص ٤٣)، فمصطفى قد كان رمزاً للخداع والمكر، يستميل سليمة طمعاً وهروباً وترويجا لبضاعته المهربة.

نجد شخصيات مألوفة واقعية كسليمة الخابزة وصاحب أبي البايسكلات و أبن العورة وتماضر ومصطفى والجيران وغيرهم، وهم شخوص واقعية نماذج للشعب العراقي. يسترجع الكاتبالأحداث، واحدا تلو الأخر.فالكاتب وعلى لسان الراوي العليم، كان صادق القول والنقل عن مجتمعه وتقاليده. و بأسلوبه الصريح صور البيئة المحلية والحوارات البسيطة والوقائع المؤلمة التي عاشها الإنسان العراقي.وتجبرنا تلك الوقائع أن نتعاطف مع الكاتب والأحداث وننحاز لها.لأننا ندرك أننا قد ارتدنا تلك المقهى واقتلعنا النخلة القميئة منإفناء ديارنا، كماشهدنا تبجح أبناء العورات وهم يتمردونبغياب القانون.

فالكاتب في باكورته الفنية يسترجع ليصور لنا أدق التفاصيل وينقل ابسط الأحداثوأشدها سذاجة وسخرية، فالذاكرة تخبرنا عن بيت سليمة الخابزة التي تعيش فيه مع فتى (ابنها من زوجها الاول رمز المستقبل).

سليمة الخابزة رمز للمرأة العراقية الأصيلة التي لا تتمرد على القيود والأعراف السائدة، ينهكها التعب **"تذكرت الزورق الذي عبرت فيه الى سامراء ذات مرة. هدهدها في رفق على ماء رقراق رأت خلاله الحصى الملون بدأ لها قريب لا يكلفها الا أن تغمس ذراعها في الماء وتلتقطه. كان الفصل صيفا نزلت القطار، وصعدت الزورق معتمدة على ذراع زوجها"** وهنا يظهر الاسترجاع بصورة جلية،ومن ذاكرة مكتنزة بالسعادة التي غابت عنها،وهي تسترسل لتعاتب ابن زوجها (**هكذا حسين؟ هكذا؟ هذا حق الستة سنين التي ربيتك فيها"** فالذاكرة تخبرنا، عن الفارق الزمني الذي يتأتى في النص السردي، ليكون احد أهم التقنيات السردي في هذه الرواية.

وقد كان أسلوب الكاتب احمد محمود، مقاربا إلى حد ما لأسلوب فرمان.فقد أنمازت أعماله الروائية بالاسترجاع والاعتماد على الذاكرة ايضاً.وروايته هي أقرب إلى الرواية التاريخية التي دونت أبرز الأحداث والوقائع التي سبقت الثورة الإسلامية في ايران، ومنها انتفاضة سبتمبر ١٣٢٠ و وانقلاب اغسطس ١٣٢٢ وسن قانون العمل والاعتصامات المتوالية لتأمين النفط من الانكليز.**"عقيده دارد كه بايد اعتصاب را شروع كنيم. منوچ سياه، عضو كميته است. وقتى كه از انفرادى آمد بيرون، جريتر شد"**.. (الرواية ٤٤١).

فضلا عن العادات والتقاليد القديمة التي سادت في ضواحي مدينة خوزستان.إذ أن فترة الرواية هي الزمن الماضي من فترات الركود والجمود الفكري. **"خون به صورتم ميجهد، جوش ميخورم، از كوره در ميروم و فرياد ميكشم -آدم دزدها. صداى خشمگين افسر نگهبان را ميشنوم كه كنار برج نگهبانى ايستاده است "(الرواية** ٤٨٠).

فنجد في الاسترجاع تعدد الأفكار القديمةوعلو الأصوات الرخيمة وتفاوت المستوى الفكري والثقافي ودرجة الوعي للشخصيات وبعضها يتقارب لحد التشابه والتطابق (كما هي شخصية سليمة الخابزة) التي نجد نسخة منها في بلور خانم في

همسايها مع اختلاف بسيط في **الالتزام العقدي والديني. ولكن أوصلنا ذلك الاختلاف الى التفاوت المعرفي وعمقه في الماضي. "امان اقا از اتاق هجوم مي اورد وبلور خان مرا مي كوبد" (الرواية ص ٩٨).**

"تشييع جناز وعيادت مريض بر زن حرام است" (الرواية ص ٩٩).كما أن بطل الرواية يسترجع للماضي القريب بعد حادثة مقتل غلام، فيتذكر تفاصيل قد مر عليها زمن.

لقد أرخت الروايتانمرحلة زمنية متقاربة وظروفا متشابهة، شخوصهما جماهير تجمعهم الأزمات والويلات والسياسات نفسها.ففرمان استند بطرحه على الذاكر المكتنزة بالأحداث من دون غموض شاهرا للبوح المطلق العنان،اما محمود فقد ركز على الموضوع نفسهبطريقته الممجوجة بالنقدغير متواري خلف الظل، ناقلا وقائع تلك السنين التي خلت من قبل.فكلاهما سميا في عوالم النكوص للماضي وتجنبا الزوايا الضيقة التي خطتها التقاليد والأعراف. كلاهما أعطيا للسارد العليم حرية البوح والحكي والتحكم بمجريات الأحداث وهما يرسمان ملامح الواقع القديم، معلنين عدم تحقق أغلب الأحلام وانكبات الرغبات في نوازع الصدور.

والخلاصة نجد هذه التقنية، باتت هي المؤثر الأكبر في الروايتين، وبواسطتها أصبح الماضي طاقة تعبيرية وامتداد طبيعي يغذي النص الروائي بسرابيل التماسك البنيوي، وضمن الأنساق الفنية وطغيان روح الفن الروائي، يفهم المتلقي ذلك الموروث القديم في أزقة بغداد وجنوب إيران ويتعايش معها، بفاعلية ووضوح.

٢) تقنية الاستباق او الاستشراف:

والاستباق هو نقيض للاسترجاع وهو اقرب إلى التنبؤ بما سيقع في المستقبل، وتأتي هذه التقنية على لسان السارد العليم الذي يدرك الأحداث الروائية داخل النص. (محبوب أيوب: الزمن والسرد في الرواية الفلسطينية ص ١٧٣). أي هو أنه (النص ينقلنا بوثبة زمنية إلىإحداث ستحصل أو ستكون حاصلة بعد حين من المواقف) (النزعة الذهنية في رواية الشحاذ: ص ٥٢) تتجلى تقنية الاستباق، والتطلع إلى المستقبل في رواية النخلة والجيران في عدة مواقع من الرواية.

ومن أهم هذه الشخصيات هي شخصية صاحب أبي البايسكلات التي لطالما تتطلع للمستقبل وامتازت بالوعي، ففي عدة مواقع من الرواية يقدم النصح الى حسين الشاب المتهور لكي يكون له مستقبل **"چنت اريدک تجمع و تكمل دراستک. بيع الخبز مايوكل خبز. و انت صرت رجال. اهلل يرحم ابوک چان يريدک تطلع"** (الرواية ١٨١) تلك الشخصية تستشرف المستقبل، ليس توقعا، بل بالتضحية والفداء، ترى أن الشعب يعيش في سبات، ولا بد أن تشرق الشمس ويستفيق، فأخراج المحتل الانكليزي يحتاج الى ثورة عارمة تشبه ثورة الرميثة وما قام هبه شعلان ابو الجون.

"بس هالمرة راح نطلعهم بدينه... بس ينرادلهه رميثة" (الرواية: ص ١٠٨). وهو يتنظر النصر للجبهة التي يواليها، بل يؤمنه بتحققه **"جنود هتلر يترگصون گدام الجيش االحمرمثل الغنم؟... النصر لنا، و لحلفائنا... نخب الجيش االحمر"** (الرواية ص ٩٩).

أماحسين فيبقى ذلك الشاب الطموح، قصير النظر. يتطلع ليكون زوجا لتماضر بعد أن هام بها حبا، كما يفعل مصطفى التاجر المخادع، الذي يستأجر غرفة من بيت سليمة مخططا، للزواج منها، وطامعاً ببيتها. لكن سليمة ترسم في مخيلتها مستقبل بعيد المنال معه، بعد الوعود التي قطعها لها لتكون شريكته في فرن صمون بدلا عن العمل في الخبز الذي لا يدر سوى القليل من المال:**"عزم ان لا تستيقظ حتى تزحف الشمس عليها من الجانب الآخر للسطح وتوقظها حين تحس بحرارتها تلسع جسمها.. ستنام**

الى الضحى كما يريد لها (مصطفى) ان تنام وتستسلم الى النوم بكل جوارحها.. وفي الضحى من غد ستقعد وراء إبريق الشاي وتنتظره حتى يناديها (سليمة خاتون) وسيأخذها الى هناك" (الرواية: ص٣٣).

وتأتي هذه الأحداث ضمن سياقات التوقع والتخمين، واغلب الأحيان هي من الظنون وربما تكون مخالفة لما يتوقع فلطالما رأينا شخصية مصطفى تعيشرحلة في مستقبل الرواية وتخطط وتتوقع. كذلك سليمة تستشرف المستقبل وتراقب التطور ولها مقولة تحتاج لوقف طويل **"اليوم يركبون سيارات، و طيارات، و باچر، من يدرى اش راح يصير، يمكن يصعدون لسابع سما"(الرواية: ص ٣٢).**

ولم تغب هذه التقنية السردية عن رواية همسايه ها، فقد بانت ملامحها في ثنايا الحوارات التي تدور بين شخصية بعض الشخصيات ولا سيما شخصيتا خالد ومحمد الميكانيكي وأبي خالد. فخالد لطالما يحلم بمستقبل مزهر ينتشله من فوضى الفقر والأمية التي يعيش فيها، يجد في الانتماء لحزب توده ملاذا مؤقتا، لعله يخرجه من تلك البوتقة المتقعة، ويخلصه من الخجل الذي يصاحبه أثناء تهجئة الصحف والكتيبات، يستشرف ويقول: **"خدا بخواد ا زاول پاييز درس مى خونم"** (الرواية: ص ٣٥١-١٥-١٦).

كما أن خالدا ينقل لنا ما يتنبأ به والده، رغم أنه يشكل عليه ذلك، كونه يعتقد أن الأبإنسان ماورائي يتطلع للمستقبل وفق ما يؤمن به هو من كتاب أسرار قاسمي فقط،، فالأب مطلع على أحوال السيد أمان اقا شارب الخمر، غير الملتزم، لكنه بنظره أفضل من الميكانيكي الذي يصوره الأب انه ملحدلأنه لا يؤمن سوى ما يراه بعينه. أمان اقا سيعود لصوابه في المستقبل كما يتطلع الأب، ويكون إنسانا مستقيما، لأن بذرة من الإيمان لاتزال في قلبه.پدرم مى گويد:

- **اگرچه امان آقا عرق مى خوره ولى همينكه اعتقاد داره كافيه.... بالاخر يه روزى رستكارم يشه.** (الرواية: ص ٢٧).

ونفهم من هذه المقولة وغيرها أن الصراع بين جيلين القديم والجديد او الدين واللادين، الشباب المناضل والسلطة الحاكمة وكلا منهما له تطلعاته المستقبلية وأمانيه التي يسعى لتحقيقها والدفاع عن بقائها. ففي الحوار بين خالد ورفيقه في النضال تظهر تلك الطموحات والاعتداد بالنفس والتمكن من الصمود في المستقبل **"خيال ميكنم كه حاال ديگه ميتونم به تو اعتماد كنم... تو امشب ميتونى با ما همكارى بكنى ... ميخوام صدتا اعاليه بهت بدم كه بندازى تو خونهاى خيابون حكومتى. از اول خيابون تا آخر آسفالت"** (الرواية ١١٩).

لقد اهتم الكاتب بالمستقبل ورسم الخطوط العريضة له فلا يمكن أن يبقى الوضع على ما هو عليه في ظل حكومة الشاه وسلطته التعسفية، يستشرف الكاتب على لسان اكثر المنتمين لحزبه (الشعب)، فيخطط للنضال والثورات والاعتصامات. ويجهز الشعارات والمنشورات، ويشحذ الهمم، لمستقبل مجهول. **"اين شعارو اگه درشت و خوشخط بنويسين، فردا صبحش غوغا ميشه. كارگراى راه آهن كه بايد از رو پل بگذرن، كنار نردهٔ پل جم ميشن و بهش نگا ميكنن. عينهو يه ميتينگ" (الرواية ص ١٣٦).**

فلا يمكن للانسان الذي ينشد الوطن الحر أن يكون صامتاً. ويجب أن يستعد الجميع ويفهم أن وقت التغيير قادم، فالاستعداد له حتمي، ومن خلف غضبان السجون كما يفعل الثوار **"بايد با يكيشون حرف بزنى... بايد همه شونو آماده كنى... بايد وضع زندونو عوض كنى... بايد بهشون بفهونى كه همه چيزو ميشه تغيير داد.." (الرواية ص ٣٩٥).**

وبها تتشابه هذه التقنية في كلتا الروايتين. وتجمع شخوصهما أهداف مشتركة وبيئة متشابهة. فالظروف في الروايتين تتشابه لحد التطابق من حيث البعد التاريخي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي وحتى المحتل نفسه.

٣) تقنيتا التلخيص والحذف:

وتعمل هاتان التقنيتان على تسريع عجلة الأحداث، ويمكن لهما أن يمتزجا في المقطع السردي الواحد. والحذف والتلخيص تقنيتان متشابهتان يوحدهما اختزال السرد واقتصاره على الموضوعات الرئيسية أو التي أراد الكاتب إظهارها.

فالحذف هو أن (يكتفي الراوي بأخبارنا أن سنوات او أشهر مرت، دون أن يحكي عن أمور وقعت في هذه السنوات او تلك الأشهر) (تقنيات السرد: يمني العيد: ٨٢)؟

أما التلخيص او ما يطلق عليه الخلاصة فهو يقترب من الحذف، فهذه التقنية تذكر الأحداث مقتضبة بإيجاز شديد من دون التعريف بمجرياتها وتفاصيلها. أي أنه (سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أوأشهرأو ساعات واختزالها في صفحات أو اسطر أو كلمات قليلة دون التعرض الى التفاصيل)(حميد لحيمداني: ٧٦).

نجد في الروايتين أن الكاتبين قد سرعا من عملية السرد، واختصرا إحداثا عدة، لربما لم تكن مهمة او أساسية. ولو بدءنا من صفحة الغلاف في الروايتين نجد ذلك الاختزال واضحا وجليا، فقد تشابهت البنية السردية من العنونة للروايتين (النخلة والجيران) و(همساية ها: الجيران)، وهاتان المفردتان قد شكلتا الركن الأساس والمرجع لأغلب مجريات الأحداث، فمنهما يتبادر للذهن الحالات الاجتماعية والأزقة والشوارع الضيقة ومشاكل المجتمع وغيره.كلا المؤلفان قد نقلا رسالة ضمنية للمجتمع، تندرس فيها العادات والتقاليد والإبعادالمختلفة.

لقد تسرعت الأحداث في النخلة والجيران، وغيب الكاتب كثيرا من المشاهد التي يمكن تفصيل مجرياتها بشكل اكبر، فقد اختص التفصيل والسرد المتسع بالشخصيات الأساسية والأحداث الرئيسة في تلك الفترة، وأصبح بعضها في هوامش السردي أو مختصر جداً.

فعلى لسان اسومة العرجة وعن طريق إشارتها لفترة زمنية ماضية، تبين ما خفي من أحداث تخص عليوي **"صارلي اكثر من ست سنين من مات عليوي ما كاسبه الا التعب"** (الراوية ص ١٤٥).

كما أن كثيرا من الأحداث التي يجب أن توضح دور صاحب أبي البايسكلات لم تكن موجودة، لكون هذه الشخصية هي البطل الذي ينشده الناس وهو اكثر من امتاز بالوعي، والإدراك لما يجري، فمقتله بهذه الطريقة يضع التساؤلات عن تاريخ مخفي عن شخصية القاتل والضحية. وربما لم يكن مقتله عبثاً او صدفه لربما كان مخطط له لكثرة نقده لما يجي على المجتمع. **"صمون السجن النا والحنطه الكرديه الهم...النخاله النا والطحين االبيض الهم "** (الرواية ص ١٦٥).

كما هو دائما في رواية همساية ها للكاتب احمد محمود تجاهل الكاتب كثيرا من الأحداث التي جرت على إيران بصورة عامة وخوزستان بصورة خاصة، الرواية عكست فترة تاريخية من تاريخ إيران وفيه كثير من الانتفاضات والثورات والإحداث السياسية والعسكرية التي قامت بها سلطة الشاه. ومن تلك الأحداث تحتاج إلى صفحات مفصلة، لكنها وردت في الرواية بصورة مختصرة و مقتضبة. **"هنگام بحران مليشدن نفت است كه خوزستان قلب تپندهٔ آن بهشمار ميآيد"** (الرواية: ص ١٩٢). كما أننا لو أخذنا الشخص القيادي (دكتور مصدق. فسوف لا نجد تفاصيل وافية عنه كقائد سياسي و ثائر وطني إلا ما ورد بحوارات مختزلة وفي موضوعات محدودة في داخل السجن أو خارجه. كما يرد على لسان بطل الرواية خالد: **"صداي دكتر را مي شنوم.**

❖ **اعتصاب غذای زندونو میگم" (الرواية: ص 394).**

قد جرت أيضا كثير من الأحداث السياسية والاقتصادية قد حذفها الكاتب واختصر على نقلها بشكل مختصر أو مقتضب بعكس الإحداث التي أسهب في وصفها الكاتب وألم بمجرياتها. ومن تلك الأحداث المحذوفة او المجتزئة، ما تسائل عنها بطل الرواية وما زال يبحث عن إجابات لها، فالكاتب لم يوضحها وجهل منها مبهمات تثير خالد فيقول **"باز به فكر اسمها ميافتم. دلم ميخواهد از شفق بپرسم. دلم ميخواهد قضیهٔ نهجالبالغه و روزنامهها را هم بپرسم. دلم ميخواهد بپرسم كه چرا پندار زندانی شده است. دلم ميخواهد معنی آن كلمات را كه رو ديوارهای كاهگلی و رو كاغذها ديدهام هم بپرسم"**. (الرواية ص ١٠٥).

ولو تأملنا الأحداث في الروايتين، سنجدكثيرا منها قد غاب ويحتاج إلى تفصيل أكثر. ومنها فيما يتعلق بتفاصيل عن الزعامات المناضلة في تلك الحقبة الزمنية من تاريخ البلدين. والوجود الفعلي النضالي ضد المحتل الانكليزي. مع غزارة الشعارات والتجمعات الحزبية في رواية همسايه ها وغيابها بشكل شبه تام في رواية النخلة والجيران. اما بقية الموضوعات ولاسيما الاجتماعية والاقتصادية والتقاليد والعادات، فكان لها النصيب الكافي من الأثرين.

٤) الأسلوب الكتابي (اللغة والحوار):

الحوار هو مكون أساس في السرد و هو تقنية وأداة تساهم في الكشف عن الشخصيات الروائية وعناصر الزمان والمكان والحالات المختلفة. وهو من اهم وسائل التعبير يوظفه الكاتب ليبين ما يرد. ويساهم في تقديم الأحداث الروائية وتحريك عجلتها للأمامباتجاه الحل. وقد تمظهر الحوار في أنماط عده، شملت اللغة العامية الدارجة واللغة الفصحى. ويتم التركيز في الروايتين على الحوار الداخلي، لكونه التقنية الطاغية على الأثرين، ولتجلى المظاهر المختلفة في ثناياه.

كتبت رواية النخلة والجيران في فترة عصيبة من تاريخ العراق، واعتمد الكاتب في تأليفها على الذاكرة بشكل كلي. وتعدهذه الرواية باكورة أعمالهالأدبية وتحفتها. فهي تنتمي إلى الواقعية الاجتماعية كما هي رواية همسايه ها لأحمد محمود. يشعر القارئ عند مطالعتها بأنه جزء منهمافالأحداث المتسلسلةولغة السرد والحوار والأمثلة الشعبية وغيرها، هي عادات وثقافة وموروث لكلا الشعبين، يحتفظ به ولا يتخلى عنه.

امتاز أسلوب احمد محمود في هذه الرواية بالسهولة والبساطة. فقد تناسبت الجمل مع المعنى وابتعدت عن التعقيد والمصطلحات الغريبة كما هو أسلوب غائب طعمة فرمان. فقد استخدم الكاتب اللغة الفصحى بشكل اقل منه في استخدام لهجة خوزستان التي احتوت على مفردات خاصة بهم. كالمفردات المحلية وضرب الأمثال.يظهر جليا من خلال الحوار في رواية همساية ها، الواقع الممجوج الذي صوره الكاتب بوقع متخيل، فيه الكثير من الانفتاح في السرد وأساليبه الرصينة. وقد عكست لغة السرد المستوى الثقافي والاجتماعي لشخوص الرواية، بأسلوب سلس، سهل، بعيد عن التعقيد. مما جعل من الصور الفنية إحداثا واقعية تلامس روح المجتمع.

پاسبان قلم را به طرف من دراز كند

- **بگيرامضا كن**
- **چى رو امضا كنم؟**
- **صورت جلسه رو**
- **خيلى خونسرد عقب مى كشم ومى نشينم رو نيمكت ومى گويم**
- **من اصلا سواد ندارم** (الرواية: ص ٢٥٤).

وفي هذا الحوار المقتضب، نجد أن الكاتب جعل من لغة السرد الحوارية، مشاهد للعيان، تبين الصراع بين سلطة الشاه والثوار،كاشفاً عن طريقة مكنونات شخصية البطل. وملامح الجور الذي كان يسود أبان فترة حكم الشاه. كما هو الواقع الذي دونه التاريخ. فالسجن والتعذيب والاعتراف بالقوة وإجبار الثوار على الإمضاء والتوقيع

على أقوال ارغموا عليها، هي من سمات السلطات الشمولية الدكتاتورية التي حكمت بلدان الشرق الاوسط ومنها ايران.

ومن الحوارات الجميلة التي زينت لغة السرد بكلمات جميلة تلامس الوجدان هي الحوارات بين الجيران والنساء والبنات التي تدل على صفاء أهل خوزستان وطيبتهم وفقرهم واختلاف المستويات المعرفية لديهم. فأم خالد هي امرأة متدينة، قد أضنكها العيش ومزق أثوابها الرثة، لكنها تلوذ بعفتها رغم اشتغالها باوضع الإشغال:

- **تو امروز كجا بودى مادر؟**
- **براتو چه فرق ميكنه؟**
- **ميخوام بدونم مادر**
- **من كار بدى نكردم مادر. كدايى نكردم. كار كه عيب نيس** (الرواية: ص 84)

وكما هو الأسلوب في همسايه ها، نجده سهلا وغير معقد في النخلة والجيران. فالحوار شيق يلامس الروح، بكلماته الأخاذة، وإيقاعاته الشجية، وآهات أهالي بغداد وبساطة متطلبات حياتهم اليومية. فالحوار بين سليمة وابن زوجها حسين، حوار خالي من الغرائب اللفظية والتعقيدات اللغوية وهو صورة للمحكي البغدادي الدارج:

"قال حسين وهو على بعد خطوتين منها،

- **انت يومية معذبتني.. مو دا احلف لج بالعباس.**
- **فقالت وهي تخلع ثوبها الاسود لعد وين راحت الفلوس عيني؟.. وين؟**
- **اش مدريني ! هذا بنطلوني وتعالي دوريه".** (الرواية ص ١٧).

وقد شغلت هذه التقنية صفحات عدة من الرواية، ومن خلالها، بين الكاتب ما يدور في خلد الشخصيات وتطلعاتهم ورفضها وقبولها لم يدور من حولها، وبالحوار ينتقد الكاتب ما يرد ويثني على من يشاء:

- **خاله نشمية الاهل ظلام**
- **نزول عالاهل.. وشعجب هالجيه؟**
- **آني هم طلعت منهم.**
- **عالخير.. الاهل مينحملون.**
- **خاله نشمية، يردون يزوجوني لواحد يبيع دهن ودبس بالعمارة.** (الرواية ص٥٣).

وقد كشف الكاتب في هذا الحوار الدائر بين تماضر الهاربة من أهلها، ونشمية صاحبة التجربة نفسها، الصراع المتآصل السلطة الذكورية في قمع حرية المرأة، وسيادت التقاليد العشائرية بالرغم من أن الحوار مجرد وبلغة عادية، لكنه حمل في طياته، نقداً لاذعاً لمجتمع شرقي.

وبهذا، تشابهت لغة الكتابة والحوار في الأثرين، وتعددت به الصفحات. وساعد الحوار في تطور الشخصيات ونموها. كما جمعت الروايتين بين اللهجة المحلية الدارجة و اللغة الفصحى لكلا القوميتين. ومما لا شك فيه أن بطلا الروايتين الحقيقيين ليست الشخصيات الروائية فحسب بل شكل الزمان والمكان، البطل الفعلي للإحداث والوقائع التاريخية التي مرت على الشعبين (العراقي والإيراني) في ظل حكومات خاضعة للاحتلال الانكليزي.

٥) تقنية الوصف:

لا يستطيع الكاتب كتابة نص أدبي أن لم يكن مطعماً بالوصف، لمجريات الأحداث. ويعد الوصف من تقنيات السرد التي يلجأ إليها الكاتب لتوضيح عناصر العمل الروائي. ومن الصعب إيجاد نص قصصي أو روائي خاليا من الوصف، كما يقول جيرارد جينت "الامر يرجع دون شك الى أن الأشياء يمكنها أن توجد بدون حركة، ولكن الحركة لا توجد بدون اشياء"(بنية النص السردي ص ٧٩).

وعناصر الرواية المختلفة هي الأشياء التي تحتاج لوصف.يتفق النقاد أن الوصف، يقوم بإبطاء حركة السرد ويغيب الزمان والمكان في سردهما. والوصف من التقنيات المستخدمة في السرد الروائي، يقوم فيه الكاتب بعرض التعريف بالأمكنة والشخصيات والأزمنة وغيرها. فالوصف يوقف عجلة الإحداثويبطئ الحركة.

تدور أحداث النخلة والجيران في أعقاب ستينات القرن الماضي وما رافقها من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية. فقد عاين الكاتب مشكلات المجتمع وخبر تراكمات الوضع. فيصف تلك الإحداث بشكل فني يلامس ذائقة القارئ ويعيش معاناته وويلاته، وهي جزء من الحياة اليومية للإنسان العراقي **"اغمضت عينيها ثانية. رأت خلف جفنيها الغليظتين كرات رصاصية تتطاير في ليل سخامي. فتحت عينيها في ذعر. ونهضت لتوقد الفانوس النفطي، ووضعته على جاون مقلوب، وجلست تكسر الحطب قرب التنور. حطب البراري. رائحة طين نقي. سامراء وكربلاء والنجف. شمت غباراً جافاً ذكرها بغبار سيارة مندفعة في طريق مترب الى البعيد، ولا تذهب ابعد من سوق الصدرية، ولا تشم غير رائحة الطولة" (الرواية ص ١٩)** وفي هذه المقطوعة الوصفية، تتراكم جمة هائلة من المواقف والأحداث، يشترك فيها الزمان والمكان.

فالشخصية هنا تذوب في صراع الفقر المدقع، وتنزوي في زوايا البيت العتيق، لكون الملاذ هو تلك الأماكن التي تطمع أن سافر لها، وتخرج من الزقاق الضيق، الذي ضاقت به سبل العيش الكريم.

كذلك يشغل الوصف حيزاً كبيراً من رواية همساية ها، فنجد الرواي يصف لنا الباحات والازقة والشوارع والبيوت المتهالكة والغرف والشخصيات وامزجتها وكل شيء يسقط تحت نظره حتى جلسات السمر وتناول الترياق **"باز بلور خانم تو حياط ودنگال می پیچد. اما امان اقا کمربند پهن چرخی را کشیده است وبه جانش"** همسايه ها ص 11).

فى هذا المقطع الوصفي يبرز لنا الصراع الأبدي بين الرجل والمرأة وسيطرة الرجل وقهره للجنس الآخر فالسيد امان اقا هو زوج السيدة بلور خانم يعاقبها بشدة ويضربها بسوط فيترك في جسمها الاثر والندب، والسبب ربما لعدم قدرتها على الانجاب او لكونها أمرأة تنشد التحرر من القيود والسيطرة. وفي موضع أخر يصف الراوي لنا الأجواء الرطبة في خوزستان والجنوب بشكل عام فيشغل هذا الوصف صفحات كثيرة جدا من الرواية" **هوا حسابی گرم شده است تو این گرما پدرم تو اتاق خودش می نشیند ودرها را می بندد وکتاب اسرار قاسمی می خواند"**. **(الرواية: ص ٢٥)**.

وهنا وعلى لسان بطل الرواية خالد، وبوصف دقيق يصف لنا انغماس والده في قراءة كتاب أسرار قاسمي، هذا الكتاب الذي أثار كثيرا من الظنون لدى الشخصيات في داخل النص الروائي وخارجه من القراء والنقاد. كتاب اسرار قاسمي هو أشبه بمنظومة دينية غيبية يستمد منها الأب الطاقة والتعليمات. يقرأ الاب هذا الكتاب في اغلب الادوار التي لعبها شرط أن يكون وحيداً منفرداً بهذا الكتاب فقط.

ومن اجمل لحظات الوصف هي تلك التي وردت بحق معشوقة خالد وعلى لسانه، يصف اللقاء الأخير، الذي تنبأ بنهايته، يصف لحظات اللقاء في حديقة عامة حيث فسائل النخيل والخضرة، تتشابك ايدي العاشقين، يسيرون بشوق دون التنبؤ بمصيرهم المجهول، فتفرق بينه احد الفسائل الصغيرة من الخيل، لتنفك الاصابع، وتفترق الايدي، مخلفة جراح عميق لم ينسه خالد في يوما ما. **"سیه چشم را بگیرم اما نمی توانم... دست همدیکر را رها کنیم"** (الرواية: ص 282).

الخاتمة

تتشابه الروايتين في كثير من الجوانب من حيث الشكل والمضمون، وتتحقق في صفحاتها تقنيات السرد الروائي بصورها الجلية. فالكاتبان قد اتقنا استخدام تلك التقنيات بصورة بعيدة عن الإفراط والتفريط. وقد صورتالروايتان الموضوعات نفسهاالتي لا تخرج عن نسق المدرسة الواقعية الاجتماعية، وتندرج ضمن الحياة اليومية التي تعيشها المجتمعات الشرقية.

اما من حيث الشكل فقد تقاربت الروايتان من حيث الحجم والأسلوب واللغة الفصحى واللهجة العامية. وبالنتيجة يمكن للقارئ تلمس ذلك التشابه، واعتباره أنموذجا عن مجالات البحث في الأدب المقارن.

المصادر

١) ابن منظور: لسان العرب: مج ٣.
٢) احمد محمود: همسايه‌ها،تهران: انتشارات امير كبير، سال ١٣٥٧.
٣) حميد لحميداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣.
٤) سيزا احمد قاسم: بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٨٤.
٥) عبد الرحمن منيف: سيرة ذاتية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٩٤
٦) عز الدين اسماعيل/ الادب وفنونه دراسة ونقد: ط السابعة – دار الفكر العربي– القاهرة سنة ١٩٧٨م.ص ١٨٧).
٧) غائب طعمة فرمان: النخلة والجيران، دمشق: انتشارت المدى، الطبعه الثانيه، ٢٠٠٩.
٨) محمود أيوب: الزمن والسرد القصصي في الرواية الفلسطينية المعاصرة، سندباد للنشر والتوزيع ٢٠١١.
٩) النزعة الذهنية في رواية الشحاذ لنجيب محفوظ، الصادق قسومة، دار الجنوب، تونس ١٩٩٢.
١٠) يمنى العيد: تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، ط الثانية ١٩٩٩.